التحدي في معجزات الأنبياء (دراسة وصفية تحليلية)

د/ مُنيرة بنت هذَّال الرُّشود(*)

المستخلص:

يتناول هذا البحث: التحدي في معجزات الأنبياء (دراسة وصفية تحليلية)، وتكمن أهميته في: دراسة موضوع التحدي من حيث وقوعه في معجزات الأنبياء من عدمه، ويهدف إلى: التعريف بمعنى كل من: المعجزة والتحدي، وبيان وجه ارتباط التحدي بالمعجزات، وإبراز أسباب خلود معجزة القرآن الكريم، والكشف عن حقيقة وقوع التحدي في معجزات الأنبياء.

وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج من أبرزها: أن ارتباط التحدي بالمعجزات راجع إلى المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، فهم يرونه شرطا لصحة المعجزة، وأنه لا يلزم من كون المعجزة صحيحة أن يتحدى بها النبي قومه، ولا يلزم أن كل آية يأتي بها النبي أن يقع بها التحدي، وأن التحدي لم يقع إلا في القرآن الكريم دون غيره من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأخرى، ومعجزات الأنبياء السابقين، وأن من أسباب خلود معجزة القرآن الكريم كونه معجزة معنوية عقلية وليست حسية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم–الأنبياء– المعجزة– التحدي.

Abstract

This research addresses the Challenge in the Miracles of the Prophets (Analytical Descriptive Study), and the research is concerned with revealing the reality of the occurrence of the challenge in the miracles of the Prophets, and the aspect of its connection to them. The importance of the research lies in: studying the subject of the challenge in terms of its occurrence or non-occurrence in the miracles of the Prophets. The research aims to define the meaning of both: the miracle and the challenge, explain the connection between the challenge and the miracles, highlight the reasons for the eternal nature of the miracle of the Noble Quran, and reveal the reality of the occurrence of the challenge in the miracles of the Prophets.

The research has reached a number of conclusions, the most prominent of which are the connection of the challenge to the miracles is due to the speakers of the Mu'tazilites and the Ash'arites, as they see it as a condition for the validity of the miracle, and it is not necessary that if the miracle is correct, the Prophet must challenge his people with it, nor is it necessary that every verse the Prophet brings has a challenge in it. The challenge occurred only in the Noble Quran and not in the other miracles of the Prophet Muhammad, peace be upon him, and the miracles of the previous Prophets. One of the reasons for the eternal nature of the miracle of the Noble Quran is that it is an intellectual, moral miracle, and not a sensory one.

Keywords: The Noble Quran - Prophets - Miracle - Challenge.

(*) حاصلة على دكتوراه في التفسير من قسم القرآن الكريم وعلومه كلية أصول الدين والدعوة– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية munira7788@gmail.com

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– إبريل ٢٠٢٤م

المقدمة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وآتانا من كل ما سألناه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. من توكّل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استهداه هداه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وسلم تسليماً كثيراً. فهذه دراسة موجزة للكشف عن حقيقة وقوع التحدي في معجزات الأنبياء، ووجه ارتباطه بها.

وقد عنونتُ لهذه الدراسة بعنوان: التحدي في معجزات الأنبياء (دراسة وصفية تحليلية).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-دراسة موضوع التحدي من حيث وقوعه في معجزات الأنبياء من عدمه.

٢-تسليط الضوء على أحد موضوعات علم إعجاز القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١- التعريف بمعنى كل من: المعجزة والتحدي.

٢- بيان وجه ارتباط التحدي بالمعجزات.

٣- إبراز أسباب خلود معجزة القرآن الكريم.

٤- الكشف عن حقيقة وقوع التحدي في معجزات الأنبياء.

حدود البحث:

دراسة التحدي من حيث وقوعه في معجزات الأنبياء.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات والبحوث التي لامست مسائل فرعية تتصل بالمعجزة، غير أن تلك الدراسات والبحوث لم تتناول: التحدي في معجزات الأنبياء(دراسة وصفية تحليلية)، وقد اطلعت من تلك الدراسات والبحوث على:

١ـــــ معجزات الأنبياء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير من إعداد: عبد الوهاب عيسى يوسف، كلية أصول الدين جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٣هـــ.

٢ـــــ معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ما يقابلها وما يضادها في ضوء الكتاب والســـنة، الدكتور/ إســـماعيل الميمني، بحث منشـــور بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد٥٤، ٢٠١٠م.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: التعريف بالمعجزة والتحدي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: تعريف التحدي.

المبحث الثاني: التحدي في معجزات الأنبياء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وجه ارتباط التحدي بالمعجزات.

المطلب الثاني: وقوع التحدي في معجزات الأنبياء.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

منهج البحث:

سلكت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك في الدراسة كلها، ويتلخص فيما يلي:

١- تعريف مصطلحات البحث لغة واصطلاحا.

٢-ذكر وجه ارتباط التحدي بالمعجزات.

٣-مناقشة وقوع التحدي في معجزات الأنبياء السابقين.

٤-كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع عزوها بذكر السورة الكريمة ورقم الآية الكريمة بجوارها.

٥-توثيق النقول والأقوال من مصادرها الأصلية، فإن تعذر فبواسطة، وإن كان نقلي نصًّا أحلت إلى الكتاب بذكر اسمه في الحاشية، أما إن كان بالمعنى فإني أحيله بقولي (انظر).

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– إبريل ٢٠٢٤م

المبحث الأول: التعريف بالمعجزة والتحدي

المطلب الأول: تعريف المعجزة

المعجزة لغة:

من الأصل الثلاثي (عجز)، وهو الضعف وآخر الشيء.

العَجْزُ: نقيض الحزم، والمَعْجَزَة: العَجْزُ وهو الضَّعف وعدم القدرة، والمُعْجِزَةُ: واحدة مُعجِزات الأنبياء عليهم السلام. وأعجاز الأمور: أواخرها.(١)

المعجزة اصطلاحًا:

هي الآية الكاشـفة عن عجز جميع الخلائق، المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها، المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في السماوات والأرض، وليست هي من فعل النبي، ولا هي داخلة في قدرته، بل هي من عند الله".(٢)

المطلب الثاني: تعريف التحدي

التحدي لغة:

من الأصل الثلاثي (حدا)، وهو المباراة والغلبة والتعمّد.

يقال: حَدَاه وتحدَّاه، وهي الحُدَيَّا، وتحَدَّى الرجل تعمَّدَه، وهو حُدَيَّا الناس أي: يَتَحَدَّاهم ويَتَعَمَّدهم، وتَحَدَّاه: باراه ونازعه الغلَبة، وأَنا حُدَيَّاك في هذا الأمر أي ابرز لي فيه.(٣)

التحدي اصطلاحًا:

"هو أن تفعل أنت فعلا، ثم تطالب خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل، طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مساماتك أو غلبتك أو الظهور عليك.

وهذا هو المعنى المقصود عند ذكر الأنبياء وتحديهم الناس بمعجزاتهم، فالنبي لا يأتي إلى شيء مذكور عند الناس بالتفوق، بل يأتيهم بشيء يعلم أنه خارج عن قدرتهم، ويطالبهم بمعارضته والإتيان بمثله، طالبا لإظهار عجزهـــم عجزا يوجب عليهم التسليم له بأنه (نبي) من أنبياء الله سبحانه".(٤)

---

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٦٩، ٣٧٠، مادة: عجز).
(٣) مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاكر (ص: ١٧).
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/ ١٦٨، مادة: حدا).
(١) مداخل إعجاز القرآن لمحمود شاكر (ص: ٢٢).

المبحث الثاني: التحدي في معجزات الأنبياء

المطلب الأول: وجه ارتباط التحدي بالمعجزات

يرجع ارتباط التحدي بالمعجزات إلى المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، فهم يرون أن النبي لا بد أن يأتي بالمعجزة، وهذه المعجزة لا بد أن تقترن بالتحدي لتثبت عجز من دعاهم النبي، للدلالة بهذا العجز على صدق دعواه للنبوة، فقد جعلوا التحدي شرطا من شروط صحة المعجزة.

يقول أبو بكر الباقلاني: "يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن يدعوا فيها أنها من دلالتهم وآياتهم، لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة، ويؤيد بآية، لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته، ولا يقول نفسه، ولا بشيء آخر، سوى البرهان الذي يظهر عليه، فيستدل به على صدقه.

فإن ذكر لهم أن هذه آيتي، وكانوا عاجزين عنها – صح له ما ادعاه، ولو كانوا غير عاجزين عنها – لم يصح أن يكون برهانا له.

وليس يكون معجزا إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله، فإذا تحداهم وبان عجزهم– صار ذلك معجزا".(١)

وفي شروط المعجزة يقول: "والوجه الثاني أن يكون ذلك الشيء الذي يظهر على أيديهم مما يخرق العادة وينقضها ومتى لم يكن كذلك لم يكن معجزا.

والوجه الثالث أن يكون غير النبي صلى الله عليه وسلم ممنوعا من إظهار ذلك على يده على الوجه الذي ظهر عليه ودعا إلى معارضته مع كونه خارقا للعادة".(٢)

ويقول أيضا: "من حق المعجز أن لا يكون معجزا حتى يكون واقعا من فعل الله سبحانه وتعالى على حد خرق عادة البشر مع تحدي الرسول عليه السلام بالإتيان بمثله وتقريع مخالفه بتعذر مثله عليه".(٣)

فيظهر مما سبق أنهم يبطلون صحة المعجزة ما لم يقع بها التحدي، وقد تصدى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لهذا الأمر وأبطله، واستفاض فيه وأجاد وذلك في كتابه "النبوات".

ومما قاله رحمه الله: "آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبيّ بها، ولا تحدّيه بالإتيان بمثلها، بل هي دليلٌ على نبوته، وإن خلت عن هذين القَيْدَيْن...وآيات الأنبياء لا تكون إلا خارقة

(٢) إعجاز القرآن (ص: ٢٥١).
(٣) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص: ٤٥، ٤٦).
(١) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص: ٩٤).

للعادة، ولا تكون مما يقدر أحدٌ على معارضتها. فاختصاصها بالنبيّ، وسلامتها عن المعارضة شرطٌ فيها، بل وفي كلّ دليل؛ فإنه لا يكون دليلاً حتى يكون مختصّاً بالمدلول عليه، ولا يكون مختصّاً إلا إذا سلم عن المعارضة، فلم يُوجد مع عدم المدلول عليه مثله. وإلا إذا وُجد هو أو مثله بدون المدلول، لم يكن مختصّاً؛ فلا يكون دليلاً.

لكن كما أنّه لا يكفي مجرّد كونه خارقاً لعادة أولئك القوم دون غيرهم، فلا يكفي أيضاً عدم معارضة أولئك القوم، بل لا بدّ أن يكون ممّا لم يعتده غير الأنبياء؛ فيكون خارقاً لعادة غير الأنبياء. فمتى عُرف أنّه يُوجد لغير الأنبياء بطلت دلالته، ومتى عارض غير النبيِّ النبيَّ بمثل ما أتى به، بطل الاختصاص".(١)

ويُستخلص من قول شيخ الإسلام؛ أنه لا يلزم من كون المعجزة صحيحة أن يتحدى بها النبي قومه، ولا يلزم أن كل آية يأتي بها النبي أن يقع بها التحدي، وبهذا يبطل قول من جعل التحدي شرطا لصحة المعجزة.

المطلب الثاني: وقوع التحدي في معجزات الأنبياء

قد ثبت في المبحث السابق أن التحدي ليس شرطا لصحة المعجزة، وهذا شامل لكل معجزات الأنبياء على حدٍّ سواء، وعدم اشتراطه للصحة لا يلزم منه عدم وقوعه، فقد يتحدى النبي قومه بالمعجزة التي جاء بها، كما وقع التحدي لقريش بالقرآن الكريم.

ووقوع التحدي في القرآن الكريم لا يلزم منه وقوعه في المعجزات الأخرى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومعجزات الأنبياء السابقين، ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"(٢) ما يدل على اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بخصائص لم تكن للأنبياء قبله.

يقول ابن عاشور في الحديث الآنف ذكره: "فيه نكتتان غفل عنهما شارحوه: الأولى: أن قوله صلى الله عليه وسلم: «ما مثله آمن عليه البشر» اقتضى أن كل نبي جاء بمعجزة هي إعجاز في أمر خاص، كان قومه أعجب به، وأعجز عنه، فيؤمنون على مثل تلك المعجزة.

الثانية: أن قوله صلى الله عليه وسلم: «وإنما كان الذي أوتيت وحيًا» اقتضى أن ليست معجزته من قبيل الأفعال، كما كانت معجزات الرسل الأولين أفعالًا لا أقوالًا، كقلب العصا،

(٢) النبوات لابن تيمية (١/ ٤٩٨، ٥٠٠).
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، (٦/ ١٨٢/ ٤٩٨١)

وانفجار الماء من الحجر، وإبراء الأكمه والأبرص، بل كانت معجزته ما في القرآن من دلالة على عجز البشر عن الإتيان بمثله من جهتي اللفظ والمعاني، وبذلك يمكن أن يؤمن به كل من يبتغي إدراك ذلك من البشر، ويتدبره.

ويفصح عن ذلك تعقيبه بقوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» إذ قد عطف بالفاء المؤذنة بالترتب، فالمناسبة بين كونه أوتي وحياً وبين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعاً لا تنجلي إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان؛ حتى يكون الذين يهتدون لدينه لأجل معجزته أمماً كثيرين على اختلاف قرائحهم، فيكون هو أكثر الأنبياء تابعاً لا محالة".(١)

ومما سبق يتبين أن مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم؛ هو خلود أعظم معجزاته وهي القرآن الكريم، ويرجع سبب خلودها إلى ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم من عموم رسالته للناس كافة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، وهذا ما لم يكن للأنبياء قبله، وخاتمتها للرسائل السماوية ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن أسباب خلود معجزة القرآن الكريم ما تميز به القرآن الكريم عن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأخرى، ومعجزات الأنبياء السابقين، من كونه معجزة معنوية عقلية وليست حسية(٢) ما جعلها باقية إلى قيام الساعة بخلاف غيرها فقد انتهت بانتهاء زمنها.

يقول محمد السيد جبريل: "وأما القرآن فمعجزة عقلية تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول".(٣)

وخلاصة ما تقدم هو أن التحدي لم يقع إلا في القرآن الكريم دون غيره من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأخرى، ومعجزات غيره من الأنبياء، وسبب ذلك هو خلوده، الذي يرجع سببه إلى كونه معجزة عقلية.

ويؤكد ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: "لم ينقل عنه –صلى الله عليه وسلم– التحدي إلا في القرآن خاصة، ولا نقل التحدي عن غيره من الأنبياء مثل موسى، والمسيح، وصالح، ولكن السحرة لما عارضوا موسى، أبطل معارضتهم".(٤)

---

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ١٢٨).
(٣) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي محمد إسماعيل إبراهيم (ص: ٢٠).
(٤) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن (ص: ٣).
(٨) النبوات (١/ ٥٤١).

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– إبريل ٢٠٢٤م

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، والشكر له على توفيقه وعونه، ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص: ٧٠] وإليه المرجع والمآل.

أحمده تعالى أن يسر لي إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً مُتقبَّلًا، وأن يبارك فيه وينفع به.

أما بعد:

فمن النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:

١-أن ارتباط التحدي بالمعجزات راجع إلى المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، فهم يرونه شرطا لصحة المعجزة.

٢-أنه لا يلزم من كون المعجزة صـــحيحة أن يتحدى بها النبي قومه، ولا يلزم أن كل آية يأتي بها النبي أن يقع بها التحدي.

٣-أن التحدي لم يقع إلا في القرآن الكريم دون غيره من معجزات النبي محمد صـــلى الله عليه وسلم الأخرى، ومعجزات الأنبياء السابقين.

٤-أن من أسباب خلود معجزة القرآن الكريم كونه معجزة معنوية عقلية وليست حسية.

فهرس المصادر والمراجع

١. إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٣. مداخل إعجاز القرآن، أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني– جدة.
٤. النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٥. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، المكتبة الشرقية–بيروت، ١٩٥٨م.
٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٧. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.